للتاريخ السياسى :

٥ ـ اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

أما مسيو فان زيلاند ، فقد ألقى خطاباً مرتب العبارة أنيق الأسلوب مؤثراً ، وقد مس فى خطابه شعور كل من سمعه . . وقال إنه لا يوجد بلاد فيها الخوف أشد مما هو فى بلجيكا ، وإن هذه البلاد الصغيرة لا تملك ما يطمئنها على سلامتها غير معاهدة لوكارنو . . . وقد اعتدى على حق بلجيكا التى تحترم المعاهدات والجيران اعتداء لا مبرر له . . . فبلجيكا لم تكن عضواً فى المعاهدة الفرنسية الروسية التى اتخذها الهر هتلر حجة لتمزيق لوكارنو . ولا ينبغى أن تتوقف قيمة الامضاء على معاهدة على قيمة قوى الذى وقع على تلك المعاهدة ...

وبعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٦ مارس اجتمع مجلس العصبة اجتماعاً خاصاً ثم اجتماعاً سرياً داما مدى أربع ساعات ، ودام البحث خلال ذلك عن الجواب الواجب ارساله الى الحكومة الألمانية ، وعن الأصول الواجب اتباعها للوصول إلى القرار الذى يصدره المجلس . وبعد نقاش طويل تقرر ارسال برقية إلى الهر هتلر يخبره فيها بأن لألمانيا الحق فى الاشتراك فى مناقشة المجلس لطلب فرنسا وبلجيكا على قدم المساواة مع بقية الدول ؛ ولا اعتبار لأصوات دول لوكارنو الثلاثة فى تقرير التصويت الاجماعى . أما فيما يتعلق بالشرط الثانى فليس من اختصاص المجلس إعطاء التأكيد الذى تطلبه الحكومة الألمانية

وقرأ مسيو فلاندان طلب حكومة فرنسا وبلجيكا الذى تقولان فيه بأن على مجلس العصبة أن يقرر بأن ألمانيا قد اعتدت على ميثاق لوكارنو ومعاهدة فرساى ، وأن يقف فوراً دول لوكارنو على القرار — وبعد نقاش قصير فضت الجلسة

* * *

وقبل أن تجيب حكومة برلين على برقية مجلس العصبة ، أرسلت صباح الثلاثاء ١٧ مارس الى حكومة لندن ، بواسطة سفيرها فى برلين برقية تقول فيها بأن الحكومة الألمانية تأمل من حكومة جلالته بذل جهودها ، فى الظروف الحالية ، للمفاوضة على المنهاج الألمانى فى الوقت المناسب مع الدول ذات الشأن فيه . فأسرع مستر ايدن فى أخذ رأى ممثلى فرنسا وبلجيكا ثم أجاب حكومة برلين قائلاً : « إن حكومة جلالته باذلة كل جهدها للوصول الى حل سلمى مرض للمشاكل الحالية . وإن الحكومة البريطانية تؤكد بأن (اقتراحات المستشار) ستناقش فى الوقت المناسب كغيرها من اقتراحات الدول ذات الشأن فى الموضوع »

وفى اليوم عينه اجتمع مجلس العصبة فى الساعة الثالثة والنصف وعقد جلسة سرية حسب اقتراح رئيسه ليسمع تصريحاً من ممثل بريطانيا . وقد أطلع مستر ايدن المجلس على برقية حكومة برلين وجوابه عليها . وبعد جدال عنيف حول الموضوع تقرر أن برقية الحكومة الألمانية لا تعد جواباً على برقية المجلس ، وأن على المجلس فتح المناقشة حول طلب فرنسا وبلجيكا . وقد حض ممثلا فرنسا وبلجيكا على النقاش الفورى ، وأخذ مسيو فلاندان يتكلم بحدة عن ضياع الوقت دون الوصول الى نتيجة

وبينما هم كذلك إذ سلمت برقية إلى مستر ايدن ، تفيد بأن الحكومة الألمانية قد قررت ارسال مبعوث الى لندن . وبعد بضع دقائق « تَلْفَنَ » سفير ألمانيا فى لندن الى رئيس المجلس ليقفه على الخبر . وعلى ذلك انفضت الجلسة ليقوم الممثلون باستشاراتهم الخاصة

وفى نفس اليوم عقدت الجلسة ثانية وكانت سرية أيضاً . ودار الحديث حول تأجيل المناقشة العامة حتى وصول ممثل بريطانيا ، فعارض مسيو زيلاند فى ذلك ، وأخبر مسيو فلاندان المجلس بأنه يجب أن يؤخذ القرار صباح الخميس ، لأنه سيغادر لندن إلى باريس فى ذلك التاريخ . وهكذا تقرر أخيراً افتتاح الجلسة العمومية والبحث فى دعوى فرنسا وبلجيكا ، وكان ذلك فى الساعة الخامسة والنصف

وتكلم فى هذا الاجتماع ممثلو تركيا والروسيا وشيلى . وكان أهم ما جاء فى الخطب انتقادات الرفيق لتفينوف الشديدة والصريحة لانتهاك ألمانيا ميثاق لوكارنو . وقرأ جملاً من كتاب

« كفاحي » توضح أن ألمانيا كانت مصرة على احتلال أراضي الرين عسكرياً وتسليحها لتتمكن من نشر نفوذها على أوروبا جميعها

وتابع مجلس العصبة اجتماعه في اليوم التالي ، وتكلم جميع ممثلي الدول عدا الرئيس وممثل بلاد « الايكوادور » بسبب مرضه ، وأهم الخطب كانت خطب مستر إيدن والسنيور جراندي والكولونيل بيك Beck ، أما الهر ريبنتروب فلم يصل في الوقت المحدد ، ولذلك ألقى خطابه يوم الخميس ١٩ مارس

وبعد أن أبان مستر إيدن أن ألمانيا هدمت معاهدة لوكارنو بعملها في ٧ مارس قال : « إن واجباتنا ليست فقط التصريح بأن اعتداء قد حصل ، بل يجب أن نضع نصب أعيننا غايتنا السامية ، ألا وهي الاحتفاظ بالسلام ، وإقامة حسن التفاهم بين أمم أوروبا على أساس متين ودائم . ما ذا كان مقصد لوكارنو ؟ لقد كان لها مقصدان : أولها الاحتفاظ بالسلام ، وثانيهما خلق ثقة دولية بتأمين السلام في غربي أوروبا . وإنني أصرح بأن موضوعنا اليوم هو هاتان النقطتان . . . واستمر يقول بأن الحالة الراهنة التي تولدت عن أعمال ٧ مارس حرجة جداً ، غير أن هذه الحالة تحتوي على شيئين مهمين يجب لفت النظر اليهما :

أولهما : أن تمزيق لوكارنو لم يحمل معه أي تهديد عدائي ، ولا يوجب العمل الفوري الذي توجبه معاهدة لوكارنو في بعض الظروف

ثانيهما : مهما تكن الحالة خطرة فانها أوجدت فرصة سانحة لتوليد حسن التفاهم وبناء العلاقات الدولية على معاهدات يحترمها الجميع ويود بقاءها . . .

أما الأمر الأول الذي لفت مستر إيدن اليه النظر فيخالف نص معاهدة لوكارنو الذي يقول بأن احتلال أراضي الرين يعد عملاً عدائياً ، وللدول لوكارنو الحق في اتخاذ إجراءات عاجلة فعالة . وأما النقطة الثانية فلا يستطيع مستر إيدن تأكيدها ، إذ هو لا يستطيع ضمان محافظة ألمانيا على المعاهدات التي ستعقد معها . ألا يمكن لحكومة النازي أن تقوم بعد سنين بعين العمل الذي قامت به في ٧ مارس بحجة أن المعاهدة التي وقعتها لم تعد تسير مع رغائب الأمة ولا قيمة لها ، وأن الحكومة الألمانية في حل منها !

واجتمع مجلس العصبة صباح الخميس الموافق ١٩ مارس لسماع خطاب الهر فون ريبنتروب واتخاذ القرار . وفي بادئ الأمر عقد اجتماع خاص طلب فيه ممثل الهر هتلر ترك فاصل من الوقت بين نهاية خطابه وأخذ القرار للتفكير . فصرح مسيو فلاندان حالاً ، وبدون تردد ، بأنه يعضد هذا الاقتراح . وفي الساعة العاشرة والنصف عقد الاجتماع العام . وأومأ الرئيس إلى الهر ريبنتروب ، فقام وقرأ خطابه بالألمانية (مع أن اللغتين الرسميتين في عصبة الأمم هما الفرنسية والانكليزية) ، وبصوت هادئ ودون إشارة مدة نصف ساعة ، ولم يأت في دفاعه ببراهين جديدة تبرر أعمال ٧ مارس ، بل كان الدفاع مبنياً على أن حكومة فرنسا اعتدت على لوكارنو بعقدها مع الروسيا ميثاقاً آخر ؛ وأعاد تأكيد الهر هتلر بأن الحكومة الألمانية تود السلام

وبعد أن ترجم الخطاب إلى الفرنسية والانكليزية ، انفضت الجلسة ليجيل الأعضاء الفكر فيه

وعندما اجتمع أعضاء المجلس في الساعة الثالثة والنصف ألقى الرئيس بروسي كلمته كممثل لحكومة استراليا ، وأخبر بأنه سيصوت مع طلب فرنسا وبلجيكا

ثم جرى التصويت على القرار — resolution — وهذا نصه :

« إن مجلس عصبة الأمم ، حسب دعوى فرنسا وبلجيكا ، المقدمة إليه في ٨ مارس ١٩٣٦ ، يرى بأن الحكومة الألمانية قد خالفت المادة ٤٣ من معاهدة فرساي بارسالها في ٧ مارس سنة ١٩٣٦ قوى حربية إلى الاقليم غير المسلح ، والتنوه عنه في المادة ٤٢ والمواد التالية من تلك المعاهدة وفي معاهدة لوكارنو ، وإقامتها فيه . انه يخبر السكرتير العام حسب نص البند ٢ من المادة ٤ من معاهدة لوكارنو لكي يرسل قرار المجلس هذا حالاً إلى الدول الموقعة على تلك المعاهدة »

وقد أخبر الرئيس بأن لجميع الممثلين حق التصويت ، غير أن أصوات المتخاصمين لا تعد لمعرفة ما إذا كان التصويت بالاجماع

وكان جواب ممثلي الدول إيجابياً « نعم » . أما جواب ممثل الهر هتلر فكان « لا » . ولم تكن حكومة الكوادور ممثلة في هذا الاجتماع ؛ ولقد تغيب عن التصويت ممثلي شيلي

وهكذا أخذ القرار بمخالفة أعمال ٧ مارس لمعاهدتي فرساي ولوكارنو بالاجماع ؛ وانتهت بذلك الدورة ٩١ غير العادية لمجلس العصبة .

يوسف هيكل